

أبو الحسن علي بن الحسين النذوي

# الدَّعْوَةُ إِلَى اللَّهِ

صِوَاةُ الْمَجْتَمَعِ مِنَ الْجَاهِلِيَّةِ وَصِيَانَةُ الدِّينِ مِنَ التَّحْرِيفِ

ملتزم النشر والتوزيع

المجمع الإسلامي العلمي

ندوة العلماء، ص.ب: ١١٩، لكهنؤ، الهند

من مطبوعات • المجمع الاسلامى العلمى • - لكناؤ (الهند)

---

رقم - ٢٣٨

★

الطبعة الثانية

١٤١٢هـ - ١٩٩١م

★

قام بالشـر

محمد غياث الدين الندوى

★

المطبعة الندوية

ندوة العلماء - لكناؤ (الهند)

(AP-SN: 61)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## هذه الرسالة

كتب هذا المقال للمؤتمر العالمي لتوجيه  
الدعوة و إعداد الدعاة الذي عقدته الجامعة  
الاسلامية بالمدينة المنورة ، في الفترة بين  
٢٤ / صفر - ٢٩ / صفر ١٣٩٧ هـ ، ونشر ووزع  
على جميع أعضاء المؤتمر .

الناشر

( ٢ )



الحمد لله رب العالمين و الصلاة و السلام على سيد  
المرسلين و خاتم النبيين محمد و آله و صحبه أجمعين و من  
تبعهم باحسان إلى يوم الدين .

أما بعد ! فاني سأتحدث في هذه المناسبة الكريمة و هي  
« دورة مؤتمر الدعوة » التي تعقدتها الجامعة الاسلامية في  
مدرسة الدعوة الاسلامية الأولى و منطلق الدعوة إلى الله في  
العالم « المدينة المنورة » عن بعض السمات البارزة التي يجب  
أن تتسم بها الدعوة و الدعاة في هذا العصر حتى يستطيعوا أن  
يقوموا بدور الدعوة في أتم وجهه و يبلغوا رسالة الرسل

عليهم السلام و يؤثروا التأثير المطلوب .

أما الدعوة الاسلامية فيجب أن تكون هذه الدعوة جامعة بين تحريك الايمان في نفوس المخاطبين و المجتمع الاسلامي ، و إثارة الشعور الديني ، و بين إكمال الوعي و تربيته و تربيته ، فان المتبع لأحوال العالم الاسلامي اليوم و واقع الاقطار الاسلامية و حكوماتها و شعوبها يعرف أن تمسك هذه الشعوب و الجماهير بالاسلام و حبها له هو الحاجز السميك و السد المنيع لكثير من القيادات التي خضعت للحضارة الغربية و قيمها و مفاهيمها ، و فلسفاتها و نظمها ، و آمنت بها إيماناً كإيمان المتدينين بالديانات و المؤمنين بالشرائع السماوية ، و فقدت الثقة بصلاحية الاسلام لمسيرة العصر الحديث و تطوراته و أحداثه ، و كرسالة خالدة عالمية ، فاسلام هذه الشعوب و المجتمعات و كونها لا تفهم إلا لغة الايمان و القرآن و لا تندفع إلا لما يجيء عن طريقهما ،

و لما يمس قلبها و يخاطب ضميرها ، يعوق كثيراً من هذه القيادات عن نبد الاسلام نبذاً كلياً و إعلان الحرب عليه ، و قد لجأ بعض هذه القيادات في ساعات عصيبة إلى إثارة هذا الايمان و الحماس الديني ، و استخدامهما لكسب المعركة أو الانتصار على العدو حين رأت أن لا ملجأ من الله إلا إليه ، و إلى إيمان هذه الشعوب السليمة المؤمنة ، رفعت هتاف التكبير : « الجهاد ، و « الشهادة ، في سبيل الله ، و محاربة العدو الكافر المهاجم كما فعلت الجزائر في حربها مع الفرنسيين ، و باكستان في حرب ١٩٦٥ م ، و جرت فائدة هذا الايمان و قوة هذه العاطفة .

فأصبح إيمان هذه الشعوب و تمسكها بالاسلام و تحمسها له ، هو السور القوي العالى الذى يعتمد عليه فى بقاء هذه البلاد ، و كثير من القيادات و الحكومات الاسلامية فى حظيرة الاسلام ، فاذا تهدم هذا السور — لا سمح الله

بذلك — أو تسوره دعاة الكفر و اللادينية ، أو تبار  
الردة الفكرية و الحضارية ، فالخطر كل الخطر على الاسلام  
فى هذه البلاد ، و لا يمنع هؤلاء القادة المحاربين للاسلام ،  
و المضرين له العدا و الحقد شئ من أن يخلعوا العذار  
و يطرحوا الحشمة و التكلف ، و يجردوا هذه الاقطار  
و الشعوب العريقة فى الاسلام من كل ما يمت إلى الاسلام  
بصلة ، فان الشئ الوحيد الذى يخافون معرفته ، و يحسبون  
له حساباً هو ثورة هذه الشعوب على هذه القيادات بدافع  
الايان و الحماس الاسلامى ، فيفقدون ذلك ما يتمتعون به  
من كراسى الحكم و مركز القيادة ، فاذا زال الحاجز لم يقف  
فى وجههم شئ .

إذن فيجب على دعاة الاسلام و العاملين فى مجال  
الدعوة الاسلامية الاحتفاظ بهذه البقية الباقية من الايمان  
فى نفوس الشعوب و الجماهير ، و المحافظة على الجمة الايمانية

من أن لا تنطفيء .

و لا يصح الاقتصار على تحريك الايمان ، و إثارة  
العاطفة الدينية في نفوس الشعوب و الجماهير ، بل يجب أن  
تضم إليه تنمية الوعي الصحيح و تربيته و الفهم للحقائق  
و القضايا ، و التمييز بين الصديق و العدو ، و عدم الانخداع  
بالشعارات و المظاهر ، فقد رأينا أن الشعوب التي يضعف  
فيها هذا الوعي أو تحرمه يتسلط عليها — رغم تمسكها  
بالاسلام و جهالة — قائد منافق أو زعيم ماكر أو عدو  
جبار ، فيصفق له الشعب بكل حرارة و يسير في ركابه ،  
فيسوقها بالعصا سوق الراعى لقطعان من الغنم ، لا تعقل  
و لا تملك من أمرها شيئاً ، و لا يمنعها تمسكها بالاسلام  
و جهالة من أن تكون فريسة سهلة أو لقمة سائغة للقيادات  
اللا دينية أو المؤامرات ضد الاسلام .

---

(١) كما وقع في مصر في عهد جمال عبد الناصر .



و قد كان ما يمتاز به المجتمع الاسلامى الاول المثالى  
 للصحابة رضى الله عنهم بفضل التربية النبوية الدقيقة الشاملة  
 بالجمع بين الدين المتين الذى لا مغمز فيه ، و الايمان القوى  
 الذى لا يعتره وهن ، و بين الوعى الناضج الكامل ، فكانوا  
 لا يخدعون و لا ينخدعون ، و لا يسيغون شيئاً ينافى  
 الاسلام و ينافى العقل ، و الذى يضرهم و ينجى عليهم ،  
 أو يوقعهم فى خطر أو تهلكة ، قد بلغوا من الرشد واستكملوا  
 الحصافة و النضج ، فلا يؤخذون على غرة و لا يقعون  
 فى شرك ينصبه العدو الماكر يخطئون و لكن لا يصرون ،  
 و لا تتكرر منهم غلطات و تورطات ، و قد جاء فى حديث  
 صحيح : « لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين ، بخلاف الشعوب  
 الفاقدة الوعى فهى تلدغ مرة بعد مرة ، و ذلك لأن  
 رسول الله ﷺ أخذهم بتربية و تعاليم أمنوا بها عن الوقوع  
 فى الشباك ، و امتنعوا بها عن قبول ما لا يتفق مع

تعاليم الاسلام و آدابه و الفطر السليمة و العقول المستقيمة ،  
فكان مجتمعاً نموذجياً مثالياً في كل شئ .

أعرض لكم — على سبيل المثال — مثالين من هذا  
العقل الحصيف و الوعي الكامل :

الأول : أن النبي ﷺ قال مرة : « أنصر أخاك ظالماً  
أو مظلوماً » و هو مثل جاهلي قديم و عرف من أعراف  
العرب الأولين ، تمسك به العرب في جاهليتهم كما قال  
العلامة الحافظ ابن حجر في شرح هذا الحديث في كتابه  
الجليل « فتح الباري » ، فكان المتوقع المعقول أن يتلقاه  
الصحابة - و قد نشأوا في الجاهلية و عاشوا في الجزيرة - إما  
بالقبول و إما بالسكوت .

وقد صدر هذا الكلام من النبي المعصوم الذي لا ينطق  
عن الهوى « إن هو إلا وحى يوحى » و قد عرف حبه  
لنبيه ﷺ و فداؤهم له بالنفس ، و النفيس ، و كان حياً

لا نظير له في تاريخ الديانات و الرسائل ، و في تاريخ  
 الحب و الطاعة العالمى ، و كان تفسيراً للحديث المشهور :  
 « لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من أهله و ولده  
 و الناس أجمعين » ، وجاء في بعض الروايات « من نفسه » ،  
 و لكن كل ذلك لم يمنعهم عن التساؤل أو الاستيضاح  
 فان ظاهر الكلام كان يناهى ما فهموه من تعليم الاسلام  
 و ما شاهدوه من تربية الرسول و أخلاقه ، و ما آمنوا به  
 من مبدأ الانصاف و المساواة ، و قوله تعالى : « يا أيها الذين  
 آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله و لو على أنفسكم  
 أو الوالدين و الأقربين » ، و قوله تعالى : « و لا يجرمنكم شنآن  
 قوم على ألا تعدلوا ، اعدلوا هو أقرب للتقوى » ، فقالوا  
 يا رسول الله ! هذا نصرته مظلوماً فكيف أنصره ظالماً ؟  
 هنالك فسره رسول الله ﷺ تفسيراً يتفق مع تعاليمه السابقة  
 الدائمة فقال : « تمنعه من الظلم فذاك نصرته إياه » ، هنالك

---

( ١ ) حديث متفق عليه .

اقتنع الصحابة رضی الله عنهم ، وشفیت صدورهم ، فزادوا  
إيماناً على إيمان ، و هو مثال بليغ رائع من أمثلة الوعي  
الإيماني العقلي الذي كان شعاراً لصحابه الرسول ﷺ  
و الصدر الأول .

و المثال الثاني : أن رسول الله ﷺ أرسل سرية ،  
و أمر الصحابة بطاعة الأمير ، و قد كان في هذه السرية  
ما لم يرض الأمير ، و شك في انقيادهم له فأمر بالخطب ،  
فجمع ، و أمر بالنار فأشعلت ، ثم قال : خوضوها ، فامتنع  
الصحابة رضی الله عنهم عن طاعته في ذلك ، لأنه « لا طاعة  
لمخلوق في معصية الخالق » ، و قالوا : إنما فررنا من النار ،  
و لما رجع إلى المدينة شكوا إلى رسول الله ﷺ فصوب  
فعلهم ، و قال : « لو دخلوا فيها لم يزلوا فيها » ، و قال :  
« لا طاعة في معصية الله إنما الطاعة في المعروف » .

---

(١) إقرأ القصة بطولها في سنن أبي داود ، كتاب الجهاد .

و كانت نتيجة ضعف بعض الشعوب المسلمة القوية في  
إيمانها ، الغنية في مظاهرها الايمانية ومراكزها الدينية وثروتها  
العلمية أنها كانت فريسة سهلة للهتافات الجاهلية و النعرات  
القومية أو العصبية اللغوية و الثقافية ، و لجة القيادات  
الداية و المؤامرات الاجنبية ، و ذهبت ضحية سداجتها  
و ضعفها في الوعي الديني ، و العقل الايماني كما وقع في  
باكستان الشرقية في ١٩٧١ م المصادفة ١٣٩١ هـ ، قامت  
فيها مجزرة إنسانية هائلة ، و ما ذلك إلا بسحر دعوات  
العصية اللغوية و العصبية الوطنية على هذا الشعب المسلم  
المؤمن الذي كان له تاريخ مجيد في البطولات الاسلامية  
و خدمة الاسلام و العلم ، و نهض فيه علماء كبار و دعاة  
إلى الله ، و غصت بلادها بالمساجد و المدارس و كانت  
عاصفة هوجاء هبت ثم ركبت ، و نار حامية التهمت ثم  
انطفأت ، و لكنها زلزلت أركان الاسلام في هذه المنطقة ،

و أضعفت الكيان الاسلامى ، و كانت حجة لاعداء  
الاسلام الذين يقولون إن الاسلام لا يستطيع أن يقاوم  
العصيات القومية و لا يقتلع جذورها من نفوس أتباعه .  
و واجب ثالث مقدس من واجبات العاملين فى مجال  
الدعوة الاسلامية هو صيانة الحقائق الدينية و المفاهيم  
الاسلامية من التحريف ، و إخضاعها للتصورات العصرية  
الغريبة ، أو المصطلحات السياسية و الاقتصادية التى نشأت  
فى أجواء خاصة ، و بيئات مختلفة ، و لها خلفيات و عوامل  
و تاريخ ، و هى خاضعة دائماً للتطور و التغيير ، فيجب أن  
نغار على هذه الحقائق الدينية و المصطلحات الاسلامية غيرتنا  
على المقدسات و على الأعراض و الكرامات بل أكثر  
منها و أشد ، لأنها حصون الاسلام المنيع و حماه و شعائره ،  
و إخضاعها للتصورات الحديثة أو تفسيرها بالمصطلحات  
الاجنبية إساءة إليها لا إحسان ، و إضعاف لها لا تقوية ،

و تعرض للخطر لا حصانة ، ونزول بها إلى المستوى  
الواطي المنخفض لارفع لشأنها كما يتصور كثير من الناس ،  
فاذا قلنا : الحج مؤتمر إسلامي عالمي ، لم ننصف للحج  
و لم ننصف لمن نخاطبه ونريد أن نفهمه حقيقة الحج وروحه ،  
ولما شرع له و لم ننصح لكليهما ، و أن روح الحج  
و سر تشريعه غير ما تعقد له المؤتمرات صباح مساء ، و لو  
كان الحج مؤتمراً إسلامياً عالمياً لكان له شأن ونظام غير هذا  
النظام ، وجو غير هذا الجو ، و لكان النداء له مقصوراً  
على طبقات مثقفة واعية فقط و على قادة الرأي و زعماء  
المسلمين .

كذلك حقيقة العبادة و حقيقة الصلاة ، و حقيقة  
الزكاة و الصوم ، فلا يجوز العبث بهذه المصطلحات و التجنى

---

(١) راجع معرفة أسرار الحج و مقاصد الشريعة الاسلامة فيه في كتابنا  
« الاركان الاربعة » .

عليها ، وإخضاعها للفلسفات الجديدة و تفسيرها بالشئ الذى لا ثقة به ولا قرار له ، وقد استخدمت هذه الاستراتيجية الدعائية ، الباطنية فى القرن الخامس الهجرى فما بعده ، ففسروا المصطلحات الدينية بما شاؤوا وشامت أهواؤهم ومصالحهم و تفتنوا فيه ، و أتوا بالعجب العجاب ، وحققة و به غرضهم من إزالة الثقة بهذه الكلمات المتواترة التى هى أسوار الشريعة الاسلامية و حصونها و شعائرها ، و نشر الفوضى فى المجتمع الاسلامى ، و الجماهير المسلمة ، و إذا فقدت هذه الكلمات التى توارثت فهمها الاجيال المسلمة وتواتر فى المسلمين ، و أصبح فيها مساغ لكل داع إلى نحلة جديدة ، و رأى شاذ و قول طريف ، فقد أصبحت قلعة الاسلام مفتوحة لكل مهاجم و لكل منافق ، و زالت الثقة بالقرآن و الحديث و اللغة العربية ، و جاز لكل قائل أن يقول ما شاء و يدعو إلى ما شاء ، و هذه فتنة لا تساويها



قنة و خطر لا يكافئه خطر .

إن مفاهيم هذه الكلمات معينة - على اتساعها وبلاغتها وعمقها وكثرة معانيها - و إن الأمة توارثت هذه المفاهيم المعينة كما توارثت أشكال الصلاة و الصوم و الحج و نظمها الظاهرة ، و تناقلتها و حافظت عليها من غير أقل انقطاع أو أقصر فترة ، و إنه معنى قوله تعالى : « إنا نحن نزلنا الذكر و إنا له لحافظون » ، و « اليوم أكملت لكم دينكم و أتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا » ، و هو معنى الحديث المشهور الذى صح معناه : « لا تجتمع أمتى على الضلالة » ، و قد أثبت شيخ الاسلام ابن تيمية أن سنة واحدة من السنن الكثيرة لم ترتفع من هذه الأمة بشكل كلى ، و أنها لا تزال طائفة من أمتى ظاهرة على الحق .

و الكلمات هى الوسيلة الوحيدة لنقل المعانى و الحقائق

---

(١) أنظر البحث فى هذا الحديث فى كتابنا « النبوة والأنبياء » .

من جيل إلى جيل و من عصر إلى عصر ، و من إنسان إلى إنسان ، فاذا وقع الشك في مدلول هذه الكلمات ومصداقها ، أو صار التلاعب بها هيناً اضطربت دعائم الدين و تزلزلت أركانه ، و هذا يعم التاريخ و الشعر و الأدب ، لذلك كانت الفوضى اللغوية ( Linguistic Anarchy ) أشد خطراً و أكثر ضرراً من الفوضى السياسية ( political Anarchy )<sup>1</sup>.

(1) و من أمثلة هذا التلاعب بالمصطلحات الدينية ، أن أستاذنا في إحدى جامعات الهند الكبرى ، و هو يدرس اللغة العربية و آدابها ، ألقى محاضرة في دورة مؤتمر الدراسات الإسلامية الأخيرة ، قال فيها : إن المراد بكلمة الصلاة ، حيثما وردت في القرآن مطلقاً ، الحكومة المحلية ، أو الإقليمية ، و المراد بالصلاة الوسطى ، الحكومة المركزية ، أو الخلافة العامة ، و كان المقال باللغة العربية ، و قد رددت عليه في حينه و قلت في تعليق عليه : إنه تلاعب بالقرآن و بالعقل و تمهيد لفوضى لغوية فكرية ، و فتح الباب للإلحاد على مصراعيه ، و نالت هذه الكلمة رضا المستمعين و تلقوها بالتبول و الاستحسان .

و ليست قضية الاسماء و المصطلحات من البساطة  
بالمكان الذى يتصور كثير من الناس ، فاتها تؤثر فى النفس  
تأثيراً خاصاً ، و تثير معانى وأحاسيس ذات الصلة بالماضى  
و ذات الصلة بالعقائد و الاعراف أحياناً ، و لذلك كره  
رسول الله ﷺ أن يقال « العتمة » مكان العشاء و « يوم  
العروبة » بدل الجمعة ، و استبدال كلمة يثرب بمدينة الرسول  
أو بالمدينة ، و لها أمثلة أخرى فى الشريعة الاسلامية .

و كذلك أهدركم أيها الاخوان بما لوحظ من بعض  
الكتاب من الضغط على أن هذه الأركان الدينية وفرائض  
الاسلام كالصلاة و الزكاة والصيام و الحج وسائل لا غايات ،  
إنما شرعت لاقامة الحكم الاسلامى و تنظيم المجتمع المسلم ،  
و تقويته ، و أهدركم من كل ما يحط من شأن روح  
العبادة و الصلة بين العبد و ربه و امتثال الأمر ، و من  
التوسع فى بيان فوائد الخلقية و الاجتماعية و السياسية

والاقتصادية أحياناً ، توسعاً يخيّل للخاطب أو القارى أنها أساليب تربوية أو عسكرية أو تنظيمية ، قيمتها ما يعود منها على المجتمع من قوة ونظام ، أو صحة بدنية وفوائد طيبة ، فان أول أضرار هذا الأسلوب من التفكير أو التفسير أنه يفقد هذه العبادات قيمتها وقوتها وهو امثال أمر الله و طلب رضاه بذلك ، و الايمان و الاحتساب و القرب عند الله تعالى ، و هى خسارة عظيمة لا تعوض بأى فائدة ، و فراغ لا يملأ بأى شئ فى الدنيا .

و الضرر الثانى أنه لو توصل أحد المشرعين أو الحكماء المربين إلى أساليب أخرى قد تكون أنفع أو يخيّل أنها أنفع لتحقيق هذه الأغراض الاجتماعية أو التنظيمية أو الطيبة لاستغنى كثير من الذين آمنوا بهذه الفوائد عن الأركان و العبادات الشرعية ، و تمسكوا بهذه الأساليب أو التجارب الجديدة ، و بذلك يكون الدين دائماً معرضاً للخطر و اعبه

للمعاشين و المحرفين .

و هذا لا ينافي الغوص في أعماق هذه الأركان  
والاحكام و الحقائق الدينية ، و الكشف عن أسرارها  
و فوائدها الاجتماعية ، و قد أفاض علماء الاسلام قديماً  
و حديثاً في بيان مقاصد الشريعة الاسلامية و أسرار العبادات  
و الفرائض و الاحكام الشرعية ، و ألفوا كتباً مستقلة  
و كتبوا بحوثاً جليلاً ، كالغزالي و الخطابي ، و عز الدين  
ابن عبد السلام و ابن قيم الجوزية ، و أحمد بن عبد الرحيم  
الدهلوي ، و لكن كل ذلك من غير تحريف لحقيقة هذه  
العبادات و الاحكام و الغاية الاولى التي شرعت لها ، و هي  
امتثال الامر الالهي ، و التقرب إليه بذلك و الايمان  
و الاحتساب فيها و من غير إخضاع لها للفلسفات العجمية  
أو الاجنبية ، في عصرهم ، و من غير خضوع بسحرها  
و بريقتها .

و أحذرکم ثانياً أيها الشباب من كل ما يقلل من شناعة  
 الوثنية العقائدية و الشرك الجلي من عبادة غير الله و السجود  
 له و تقديم الذبور و القرابين ، و إشراكه في صفات الله  
 من قدرة و علم و تصرف و إمامة و إحياء ، و إسعاد و إشقاء ،  
 و أحذرکم من الاكتفاء بالتركيز على شناعة الخضوع للحكومات  
 و النظم الانسانية و التشريعات البشرية ، و تحويل حق  
 التشريع للانسان ، و أن ذلك هو وحده عبادة الطاغوت  
 و الشرك ، و أن الوثنية الأولى و عبادة غير الله قد فقدت  
 أهميتها ، و إنما كانت لها الأهمية في العصر القديم ، العصر  
 البدائي ، و أنه لا يقبل عليها الآن إلا الرجل الجاهل الذي  
 لا ثقافة له ، فضلاً عن أن هذه الوثنية و الشرك الجلي  
 لا يزال له شيوع و انتشار ، و دولة و صولة يجربه كل  
 إنسان في كل زمان و مكان ، فانها الغاية الأولى التي بعث  
 لها الانبياء و أنزلت لها الكتب السماوية ، و قامت لها سوق

الجنة و النار ، و كانت دعوة جميع الانبياء تنطلق من هذه النقطة ، و كانت جهودهم مركزة على محاربة هذه الجاهلية ، و القرآن مملوء بذلك بحيث لا يقبل تأويلاً .

و إن كل ما يقلل من أهمية محاربة الشرك الجلي و عبادة غير الله سواء كانوا أشخاصاً أو أرواحاً ، أو ضرايح و مشاهد ، و العناية بمحاربة النظم و التشريعات و الحكومات فحسب إحباط لجهود الانبياء و اتجاه بهـذا الدين عن منهجه القديم السماوى إلى المنهج الجديد السياسى ، و هو تحريف لا محالة ، هذا من غير أن أقلل من قيمة التركيز على أن التشريع لله وحده ، و له الحكم و الأمر وحده ، و أن من يدعو إلى طاعة نفسه الطاعة المطلقة العمياء منافس للرب و الطاغوت ، و أنه يجب أن يدعى إلى التشريع الالهى

---

(١) إقرأ على سبيل المثال سورة الاعراف ، و سورة هود ، و سورة الشعراء ، و الحديث عن كل نبي و دعوته .

و إلى إقامة الحكم الاسلامى القائم على منهاج الكتاب  
و السنة و منهاج الخلافة الراشدة ، و أن لا يدخر سعى فى  
ذلك ، و لكن من غير أن يكون ذلك على حساب الدعوة  
إلى التوحيد و الدين الخالص ، و محاربة الوثنية و الشرك ،  
فانها لا تزال فى الدرجة الاولى و هى أكثر انتشاراً ،  
و أعظم خطراً فى الدنيا و الآخرة ، فقد قال الله : « إن الله  
لا يغفر أن يشرك به و يغفر ما دون ذلك لمن يشاء »  
و « من يشرك بالله فقد افترى إثماً عظيماً » و قد قال :  
« فاجتنبوا الرجس من الأوثان و اجتنبوا قول الزور  
حنفاء لله غير مشركين به و من يشرك بالله فكأنما خر من  
السماء فتخطفه الطير أو تهوى به الريح فى مكان سحيق » .  
أما ما يتصل بصفات العاملين فى مجال الدعوة الاسلامية  
وجود الدعوة إلى الله ، فأنى أركز فى هذا الحديث الموجز  
على نقطة واحدة ، و هو أنه يجب أن يكون الدعاة يمتازون



عن الدهماء و الجماهير ، و دعاة النظم الجديدة و الفلسفات  
 الجديدة ، و الفلسفات السياسية و الاقتصادية بقوة إيمانهم  
 و حرارة قلوبهم ، و زهدهم في زخارف الدنيا و فضول العيش  
 و نهامة للسادية ، و مرض التكاثر ، فانهم لا يستطيعون أن  
 يؤثروا فيمن يخاطبونهم ، و يحملوهم على إثارة الدين على الدنيا  
 و الآجلة على العاجلة ، و تلبية نداء الضمير و الايمان على  
 نداء المعدة و النفس و الشهوات ، و إشعال مجامر قلوبهم التي  
 انطفأت أو كادت تنطفى ، إلا إذا شعر الناس فيهم بشئ  
 لا يجدونه في قلوبهم و حياتهم ، فان الناس ما زالوا  
 ولا يزالون مفطورين على الاجلال لشئ لا يجدونه عندهم ،  
 فالضعيف مفطور على احترام القوى ، و الفقير مفطور على  
 احترام الغنى ، و الامي مفطور على احترام العالم ، حتى اللثيم  
 مفطور على احترام الكريم ، أما إذا رأى الناس علما  
 و دعاة لا يقلون في حب المادة و الجرى و راءها و التنافس

فى الوظائف و المناصب و الاكثار من الثراء و الرخاء ،  
 و التوسع فى المطاعم و المشارب ، و خفض العيش و لين  
 الحىاة ، فانهم لا يرون لهم فضلاً عليهم وحقاً فى الدعوة  
 إلى الله ، و إثارة الآخرة على الدنيا ، و التمرد على الشهوات ،  
 و التماسك أمام المغريات ، و قد قيل : « إن فاقد الشىء  
 لا يعطيه ، و كذلك القلب الخاوى لا يملأ قلباً آخر  
 بالایمان و الحنان ، و أن الموت لا ينشئ الحىاة ، و أن  
 البرودة لا تعطى الحرارة ، و أن الرماد الذى لا تكمن فيه  
 جمرة لا يلهب القلوب الخاملة و لا يحيى النفوس الميتة ،  
 و الكشاف لا ينير الطريق إذا كانت قد نفذت شحنته ،  
 فلا بد أن تشحن القلوب بشحنة جديدة ، و إذا كانت  
 بطارية من غير شحنة كانت أقل غناء و قيمة من عصا يحملها  
 الانسان ، فقيمة البطارية الشحنة و قيمة الشحنة النور ،  
 فاذا لم تكن شحنة أو كانت شحنة و لا نور فالعصا خير منه .

أسألکم أيها الاخوان ا أليس هذا العصر هو العصر  
 الذى انتشر فيه العلم و كثرت فيه وسائل الاعلام و التربية ،  
 و ازدهرت فيه الخطابة و الكتابة ، و بلغت حد الشعر  
 و السحر ، و عمت الجامعات فى كل مكان ، و تدفق السيل  
 من المطبوعات و المنشورات من المطابع و دور النشر ،  
 و نبغ فيها علماء و باحثون و وعاظ و مرشدون ، فلماذا  
 فقد العلماء و الموجهون التأثير فى النفوس و القلوب فى  
 صد تيار المادية و الاستغلال و الجشع و الهامة للمال ؟  
 هذه البلاد العربية - بما فيها البلاد المقدسة - أصبحت  
 مصداقاً لما أخبر به الرسول ﷺ فى إحدى خطبه قبل  
 وفاته : « ما الفقر أخشى عليكم و لكن أخاف أن تبسط  
 عليكم الدنيا كما بسطت على من كان قبلكم ، فتنافسوها كما  
 تنافسوها قهلكم كما أملاكتهم » .

و أخوف ما نخاف أن تكتسح هذه البلاد الموجهة

العارمة من التكاثر في الأموال ، و استغلال حاجة الناس  
وضعفهم ، و الانتهازية ، وهي الموجة التي لا تعرف الرحمة و  
الهوادة ، و مكارم الاخلاق التي عرف بها العرب في العصر  
الجاهلي ، وربما يعود ذلك خطراً كبيراً على الحج و مركزه ،  
و يمكن أن يشكل محنة للوافدين إليه ، فيضطر الدعاة في  
صد هذه الموجة إلى مكافحة خلقية و حملة دعوية تربوية  
تنظم لاصلاح الحال ، و إيقاظ الضمير ، و إثارة الغيرة  
الاسلامية و الشعور النبيل ، و تنطلق من المنابر والصحف ،  
و الاذاعة و وسائل الاعلام ، و تجند لها الطاقات  
والالسن و الأقلام .

و سمة الدعوات الحية المخلصة التي تقبسط النور من  
مشكاة النبوة ، و تسير على نهجها ، أنها تجس نبض المجتمع  
جسماً صحيحاً أميناً ، و تهتدي إلى الداء الحقيقي و مواضع  
الضعف في جسم هذا المجتمع ، و تضع الأصبع عليها ،

و تضرب على الوتر الحساس ، من غير محابة أو مدهانة ،  
و لا تكثر بألم هذا المجتمع أو ملامه ، كما فعل شعيب  
في دعوته ، فوجه دعوته — بعد الدعوة إلى التوحيد —  
إلى إيفاء الكيل ، و الوزن بالقسطاس المستقيم ، و شنع  
على التطفيف ، إذ كان ذلك عيب المجتمع الذي بعث فيه ،  
و سمته البارزة ، و كذلك فعل غيره من الأنبياء .

و هذه كانت سنة الدعاة إلى الله من المخلصين الربانيين  
في تاريخ الإسلام ، فكانوا ينتقدون المجتمع في الصميم ،  
و يصيون المحز ، و لذلك كان وقع كلامهم في النفوس  
عظيماً وعميقاً ، و ما كان يسع المجتمع أن يتغافل عنهم  
أو يمر بهم مرأ سريعاً ، أو يسلى نفسه بأنه إنما يعنون غيره  
من المجتمعات التي سبقت أو المجتمعات التي لم تخلق بعد ،  
و هذا كان شأن الحسن البصرى في مواعظه إذ كان دائماً  
يشير إلى النفاق الذي كان دام المجتمع الاسلامى ، و هو

في أوج مجده ورخائه ، ويذم حب الدنيا وطول الأمل ،  
و هذا كان شأن الشيخ عبد القادر الكيلاني ، فیدعو إلى  
التوحيد الخالص ، وقطع الرجاء و الخوف من غير الله ،  
و أنه لا يضر و لا ينفع سواه ، لأن الناس كانوا قد  
ربطوا مصيرهم بالخلفاء والأمرأ و أصحاب الحول و الطول  
و الأمر و النهي في العاصمة ، و هذا كان شأن ابن الجوزي  
في مواعظه الساحرة ، و مجالسه المرحومة ، فانه كان يشنع  
على الحياة اللاهية الماجنة التي كان يحياها كثير من الناس  
في بغداد ، و على الذنوب و المعاصي التي كانت تقترف  
جهاراً ، و المنكرات التي شاعت ، فكان مئات و آلاف  
من الناس يتوبون و يقلعون عن الذنوب ، و كان نشيج  
يلو وقلوب ترق و عيون تدمع ، و موجة من الانابة  
و الرقة تكتسح الجموع الحاشدة لأنه كان يمس  
القلوب و يصور الواقع ، و لا يكتفي بالكلام العام

و الوعظ التقليدي<sup>١</sup> .

و هنا أنقل إليكم قطعة من كتابنا « رجال الفكر  
و الدعوة في الاسلام » ، و المؤلف يتحدث عن الامام أحمد  
ابن حنبل و زهده :

« و قد رأينا الزهد و التجديد مترافقين في تاريخ  
الاسلام ، فلا نعرف أحداً ممن قلب التيار و غير مجرى  
التاريخ ، و نفتح روحاً جديدة في المجتمع الاسلامي أو افقته  
عهداً جديداً في تاريخ الاسلام ، و خلف تراناً خالداً في العلم  
و الفكر و الدين ، و ظل قروناً يؤثر في الأفكار والآراء ،  
و يسيطر على العلم و الأدب إلا و له نزعة في الزهد  
و تغلب على الشهوات ، و سيطرة على المادة و رجالها ،  
و اهل السر في ذلك أن الزهد يكسب الانسان قوة المقاومة ،

---

(١) اقرأ تفاصيل مجالس ابن الجوزي و تأثيرها في كتاب « سيد الخاطر »  
و « رحلة ابن جبير » .

و الاعتداد بالشخصية و العقيدة ، و الاستهانة برجال المادة ،  
و بصرعى الشهوات ، و أسرى المأدبة ، و لذلك ترى كثيراً  
من العبقريين و النوابغ فى الأمم ، كانوا زهاداً فى الحياة ،  
متمردين على الشهوات ، و بعيدين عن الملوك و الأمرء  
و الأغنياء فى زمانهم ، و لأن الزهد يثير فى النفس كوامن  
القوة و يشعل المواهب ، و يلهب الروح ، و بالعكس أن الدعة  
و الرخاوة تلبد الحس و تنيم النفس و تميت القلب .

و هناك تعليقات أخرى يوافق عليها علم النفس و علم  
الأخلاق ، و لا أطيل بذكرها ، و اقتصر على هذه الملاحظات  
التاريخية ، ألع على أن منصب التجديد و البعث الجديد  
يتطلب لا محالة زهداً و ترفعاً عن المطامع و سفاسف  
الأمور ، و يأبى الاندفاع إلى التيارات ، و يتنافى مع الحياة  
الوادعة الرخية و العيشة الباذخة الثرية ، إنما هو خلافة  
للسول الأعظم ﷺ ، و قد قيل له : « و لا تمدن عينك



إلى ما متعنا به أزواجاً منهم زهرة الحياة الدنيا لفتنهم فيه ،  
 و رزق ربك خير و أبقى ، ، و أمر بأن يقول لأزواجه :  
 « إن كنتن تردن الحياة الدنيا و زيتها فتعالين أمتعن  
 و أسرحكن سراحاً جميلاً ، ، و هذه سنة الله فيمن يختاره  
 لهذا الأمر العظيم ، و من يرشح نفسه و يمينها بهذا المنصب  
 الخطير : « و لن نجد لسنة الله تحويلاً » ١ .

و من أبرز سمات الدعوة التي يقوم بها الأنبياء و خلفاؤهم  
 أنها تقوم على الإيمان بالآخرة و التحذير من عقابها و الترغيب  
 في نعمائها و ثوابها و يكون مناط العمل فيها الإيمان  
 و الاحتساب و الأجر و الثواب ، لا على الاغراء بالفوائد  
 الدنيوية و الجاه و المنصب و المال و الملك ، فانه أساس  
 ضعيف منهار و لا يتفق مع طبيعة دعوات الأنبياء ،  
 و المساومة فيه سهلة ، و قد يملك أعداؤهم و خصومهم و القادة

(١) رجال الفكر و الدعوة ، الجزء الأول ، ترجمة الامام أحمد بن حنبل ص ١٣٢ .

السياسيون مثله أو أكثر منه ، و من رضع بلبان هذه المطامع لم يمكن نظامه عنها ، و لا يصح الاعتماد عليه ، و إنما يبنون دعوتهم على رضى الله و ثوابه و ما أعدّه الله لعباده المؤمنين و ما وعدهم به على لسان أنبيائه ، من نعيم لا يزول و لا يحول ، و الصحف السماوية — غير صحف العهد القديم و التوراة — مملوءة بالحديث عن الآخرة و الاهتمام بها و البناء عليها و قد جعل الإسلام الإيمان بها عقيدة أساسية و شرطاً لصحة الإيمان و النجاة، و قد جاء في القرآن صريحاً: تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً فى الأرض و لا فساداً و العاقبة للمتقين ، .

و هنا استعير لنفسى من نفسى ما قلته فى إحدى المحاضرات التى ألقيتها فى هذه الجامعة العزيزة سنة ١٣٨٢ هـ

---

(١) فقد تجردت بعد التحريف ، من ذكر الآخرة و نعماتها و الترغيب فيها بطريقة عجيبة .

تحت عنوان « النبوة و الأنبياء في ضوء القرآن ، و اختتم به هذا الحديث مؤملاً في أن تكون هذه السمات التي تحدث عنها شعار الدعوة التي يقوم بها الدعاة المتخرجون في هذه الجامعة أو القائمون بأعبائها في كل ناحية من نواحي العالم الإسلامي ، قلت و أنا أتحدث عن الفرق بين منهج الدعوات النبوية و بين الدعوات الإصلاحية :

« و لم تكن دعوة الأنبياء إلى الإيمان بالآخرة أو الإشادة بها كضرورة خلقية أو كحاجة إصلاحية لا يقوم غيرها مجتمع فاضل و مدنية صالحة فضلاً عن المجتمع الإسلامي ، و هذا و إن كان يستحق التقدير و الإعجاب ولكنه يختلف عن منهج الأنبياء و سيرتهم و منهج خلفائهم اختلافاً واضحاً ، و الفرق بينهما أن الأول منهج الأنبياء ، إيمان و وجدان ، و شعور و عاطفة و عقيدة تملك على الإنسان مشاعره ، و تفكيره و تصرفاته ، و الثاني اعتراف

و تقدير و قانون مرسوم ، و أن الأولين يتكلمون عن  
الآخرة باندفاع و التذاذ ويدعون إليها بحماسة وقوة ، والآخريين  
يتكلمون عنها بقدر الضرورة الخلقية و الحاجة الاجتماعية  
و بدافع من الاصلاح و التنظيم الخلقى ، و شتان ما بين  
الوجدان و العاطفة و بين الخضوع للنطق و المصالح  
الاجتماعية .

